استرفاد التراث
نمط إبداعي في الشعر السعودي الحديث
شعراء أبها نموذجاً
دراسة تحليلية وصفية

د. عبد الفتاح أحمد عيد

ملخص البحث

يعد شعراء أبها من أبرز الشعراء السعوديين والعرب المعاصرين الذين كان لهم دور كبير في إثراء الساحة الأدبية بروائع القصائد العربية التحليلية، ومن خلال إنتاج شاعر أبها الغزير في كتابة القصيدة العربية والتزامه الجاد بقصيدته العمودية المعاصرة التي تضرب أطنابها في أعماق القصيدة العربية القديمة الممتدة؛ كان من الضروري الكشف عن استرفاد شاعر أبها للتراث العريق في شعره، ووصف هذه النزعة الإبداعية وتحليل أبعادها برؤية تتمثل التجربة عبر تقنيات الاسترفاد.

ولهذا حاولت في هذا البحث أن أقف وقفة متأنية للكشف عن بعض الصور التراثية التي عبر بها شعراء أبها، وضمنوها قصائدهم، ثم محاولة الكشف عن أشكال توظيفهم لها، وصولًا إلى وضع مقاربات تفسيرية، أو تأويلات تقوم على قاعدة (الإنتاج الدلالي) بما لا يناقض مفهوم الاسترفاد بوصفة سبيلًا يهدف إلى فتح قنوات للمشاركة الوجدانية بين الشاعر والمتلقي.

وقد اعتمدت في هذه الدراسة معطيات الشعرية الأسلوبية؛ بوصفها منهجًا يمكن من الكشف عن شعرية النص، وهذا المنهج يثير في شعر أبها تداعيات كثيرة حول مفهوم التجربة ومعطياتها التي استنبطها شعراء أبها في معمار قصائدهم، تنتهي بهم إلى كشف ما يتعالق في تصورهم من قيم الاسترفاد والتمثيل الشعري للصور التراثية بشكل عام وتجربة الشاعر العربي القديم بوجه خاص.

(ISSN: 2536 - 9555)

ورأى الباحث أن يسير وفقًا للخطة التالية:

مقدمة تتناول أسباب اختيار الدراسة وأهدافها وأهميتها، ثم منهجيتها وتقسيمها وتمهيد يتناول فيه علاقة الشاعر المعاصر بالتراث، ثم ينتقل إلى قضية الاسترفاد التي استدعى من خلالها الشعراء التجارب العربية القديمة، وتأتي الخاتمة لتلخص أهم ما توصلت إليه الدراسة، قبل أن يتم رصد مصادر الدراسة ومراجعها.

Exploiting the heritage
Creative style in modern Saudi poetry
Abha poets are a model
Descriptive Analytical Study

Dr. Abdel Fattah Ahmed Eid :Prepared by

Summary of research

The poets of Abha are among the most prominent contemporary Saudi and Arab poets who have played a major role in enriching the literary scene with masterpieces of Arab analytical poems, and through the production of Abha's prolific poet in writing the Arabic poem and his serious commitment to his contemporary vertical poem that strikes its depths in the depths of the extended ancient Arab poem. It was necessary to reveal the use of the Abha poet of the ancient heritage in his poetry, to describe this creative tendency and to analyze its dimensions with a vision represented by the experience through recruitment techniques.

That is why I tried in this research to pause carefully to reveal some of the heritage images that the poets of Abha expressed and included in their poems, and then try to reveal the forms of their employment of them, leading to the development of interpretive approaches, or interpretations based on the basis of (semantic production) in a way that does not contradict the concept of the recruitment as a path that

aims to open channels of emotional participation between the poet and the recipient.

Poetic stylistic data were adopted in this study; As a method that enables the poetics of the text to be revealed, and this approach raises in Abha's poetry many repercussions about the concept of experience and its data that the poets of Abha devised in the architecture of their poems, ending with them revealing what is related to their perception of the values of recruitment and the poetic representation of the heritage images in general and the experience of the ancient Arab poet In particular.

The researcher thought that he should proceed according to the following plan:

An introduction that deals with the reasons for choosing the study, its objectives and its importance, then its methodology and division and a preface in which it deals with the relationship of the contemporary poet with the heritage, then moves to the issue of recruitment through which the poets summoned the ancient Arab experiences, and the conclusion comes to summarize the most important findings of the study, before the sources and references of the study are monitored.

مقدمة

تنخرط الدراسة فيما انعقد عليه الموضوع من أهداف ومنطلقات تخص (استرفاد التراث في شعر أبها)، فهي تتناول الموروث الثقافي من تجارب وصور ومواقف وشخصيات تراثية ومدى توظيف شعراء أبها لها، إذ أن غايتها إحياء المكتسب من الرؤية والتشكيل النصي لشخصية الشاعر العربي في عصوره القديمة، بمقتضى المنهج الذي يصف الظاهرة الفنية ويحلل أبعادها برؤية تتمثل صورتها عبر آليات الاسترفاد، من حيث التجربة ومضمونها وما تندرج تحته من جذور تراثية، واستلهام البعد النصي في التشكيلات النصية، وإنتاج الشاعر العربي

(ISSN: 2536 - 9555)

القديم في لغته الشعرية وصوره المتخيلة، ورؤيته الإبداعية للموضوعات، والتمثيل الثقافي لمعطيات الحضارة العربية والإسلامية. كل ذلك ما يمكن البوح به في اللحظة الراهنة، عسى أن يمنحنا تصورًا أوليًا للرؤية الشعرية والأداة الفنية في تمثل التجربة المستدعاة لدى الرواد المبدعين في المشهد الشعري العربي عمومًا والشعر السعودي على وجه الخصوص.

يعد شعراء أبها من أبرز الشعراء السعوديين والعرب المعاصرين الذين كان لهم دور كبير في إثراء الساحة الأدبية بروائع القصائد العربية التحليلية، ومن خلال إنتاج شاعر أبها الغزير في كتابة القصيدة العربية والتزامه الجاد بقصيدته العمودية المعاصرة التي تضرب أطنابها في أعماق القصيدة العربية القديمة الممتدة؛ كان من الضروري الكشف عن استرفاد شاعر أبها للتراث العريق في شعره، ووصف هذه النزعة الإبداعية وتحليل أبعادها برؤية تتمثل التجربة عبر تقنيات الاسترفاد.

أما مجال البحث والميدان الذي سيجوب آفاقه، فقد آثر الباحث اختيار شاعر أبها؛ بما تعزز به من الكفاءة والقدرة الشعرية الفائقة، إذ نال تقديرًا عاليًا في الخطاب النقدي عربيًا، ولقدرته أيضًا على ترويض اللغة ومهاراته المميزة في توظيفهما.

وقد حاولت في هذا البحث أن أقف وقفة متأنية للكشف عن بعض الصور التراثية التي عبر بها شعراء أبها، وضمنوها قصائدهم، ثم محاولة الكشف عن أشكال توظيفهم لها، وصولًا إلى وضع مقاربات تفسيرية، أو تأويلات تقوم على قاعدة (الإنتاج الدلالي) بما لا يناقض مفهوم الاسترفاد بوصفة سبيلًا يهدف إلى فتح قنوات للمشاركة الوجدانية بين الشاعر والمتلقي.

بهذه المعطيات؛ لا جدال في أن أي ناقد يقترب من شاعر أبها وتجربته الشعرية فإنه– حتمًا– سيواجه موجةً من التفاعلات النصية التي تدفع المتلقي إلى

أن يعيش تجربة الإبداع نفسها، ويذوب في أعماقها؛ حتى يتسنى له تمثل بناء الصورة المستدعاة.

مما سبق تمثلت أهداف البحث في ما يأتي:

- تعميق علاقة الشاعر المعاصر بتراثه العربي ليكون من مرجعيات بناء الإبداع لديه.
- الكشف عن جماليات توظيف التجربة القديمة فى نصوص شعراء أبها الشعرية.
- الوقوف على مظاهر تمثل التجربة القديمة في إبداع أبها.

أما منهجية البحث، فقد اعتمد الباحث في دراسته معطيات الشعرية الأسلوبية؛ بوصفها منهجًا يمكن من الكشف عن شعرية النص، وهذا المنهج يثير في شعر أبها تداعيات كثيرة حول مفهوم التجربة ومعطياتها التي استنبطها شعراء أبها في معمار قصائدهم، تنتهي بهم إلى كشف ما يتعالق في تصورهم من قيم الاسترفاد والتمثيل الشعري للصور التراثية بشكل عام وتجربة الشاعر العربي القديم بوجه خاص.

أما تقسيم الدراسة، فرأى الباحث أن يسير وفقًا للخطة التالية:

مقدمة تتناول أسباب اختيار الدراسة وأهدافها وأهميتها، ثم منهجيتها وتقسيمها وما إلى ذلك من توضيحات، ثم تتبع بالتمهيد: الذي يتناول فيه علاقة الشاعر المعاصر بالتراث، ثم ينتقل إلى قضية الاسترفاد التي استدعى من خلالها الشعراء التجارب العربية القديمة، وتأتي الخاتمة لتلخص أهم ما توصلت إليه الدراسة، قبل أن يتم رصد مصادر الدراسة ومراجعها.

تمهيد:

من الجانب التاريخي والحضاري والثقافي يتمثل التراث في كل ما تخلفه الأمم عبر تاريخها، ويكون مرآة لحضارتها في العادات والتقاليد ومنتجاتها الفكرية وفنونها وخبراتها وما يُورِّثه السلف للخلف ويكون موضع اعتزاز له، وتراث العرب

(ISSN: 2536 - 9555)

مفخرتهم التي لا تنضب، وهي ما تعتز به عقديًا، واجتماعيًا، وفكريًا، وإنسانيًا[١] لذا وجدت آثاره وبصماته لا تزال أكثرها خالدة حتى اليوم في مجال العمارة والفنون والآداب، وفي كل نواحي الحياة عمومًا والعربية على وجه التحديد، ومن ثم شاع هذا الموروث الحضاري الثقافي التاريخي للعرب في أدبهم وشعرهم قديمًا ثم مرورًا بالعصر الراهن الذي بات يعتمد اعتمادًا رئيسًا على التراث ومنابعه الخصبة، لاسيما في ظل التطور التقني والتكنولوجي الذي بات ينتزع الإنسان من كل روابطه الإنسانية ومن جذوره الأصيلة إضافة إلى بعض العوامل والأسباب التي يعرضها **د.علي عشري زايد** ومنها: غنى التراث، ومحاولته الوصول إلى الموضوعية الفنية، وتأثرهم بفكرة المعادل الموضوعي، وغيرها من العوامل[٢].

هذه الأهمية الكبيرة للتراث هي التي جعلت الدكتور حسين مروة يعرفه بالكائن الحي الذي ينمو ويكبر ويتفرع وينبض ويظل مواكبًا للأدب والنقد على مر العصور، قائلًا عنه بأنه كائن حي متحرك بصيرورة دائمة هي صيرورة الحياة الواقعية التي ينبثق منها ويحيا فيها ومعها، وهي بدورها تحيا فيه ومعه، ولكن بشكل أخر ربما كان شكلها الأرقى، وربما كان شكلها الرافض لها، وربما كان تعبيرًا عن صراعها هي مع نفسها[٣].

إن علاقة الشاعر المعاصر بالتراث تتأتى من الفكرة السابقة بأثر التراث أو توظيفه ومن كونه "بكل أبعاده ومساراته بشكل قضية أساسية لا يمكن تجاهلها،

---

[١] محمد التونجي: المعجم المفصل في الأدب، ج ١، دار الكتب العلمية، ط٢ بيروت، ١٩٩٩ ص ٢٣٩.

[٢] انظر: علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٩٧ ص١٥– ٤٤.

[٣] انظر: حسن مروة، دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي، مؤسسة الأبحاث العربية، د.ط، بيروت، د.ت ص٤٦٤.

وبناءً ضخمًا لا يمكن تجاوزه عند دراسة أية قضية، أو ظاهرة اجتماعية"[٤] لذا بات جزءًا لا يتجزأ من التجربة الإنسانية بمختلف أصعدتها واتجاهاتها وبات أساسًا للتعبير عنها حتى صار يحمل قدسية خاصة وعنوانًا على حضور الأب في الابن، حضور السلف في الخلف، حضور الماضي في الحاضر"[٥] فحينما تمتزج هذه التجارب يخرج علينا الأدب وبخاصة الشعر بشكل أكثر جمالية وقوة.

يتعامل الأديب مع التراث معاملة خاصة لا يبتغي منها مجرد استحضاره بألفاظه ومفرداته؛ بل يؤسس لـ"استخدام معطياته استخدامًا فنيًا إيحائيًا وتوظيفها لحمل الأبعاد المعاصرة للرؤية الشعرية للشاعر بحيث يسقط الشاعر على معطيات التراث ملامح معاناته الخاصة فتصبح هذه المعطيات معطيات تراثية معاصرة، تعبر عن أشد هموم الشاعر المعاصر خصوصية ومعاصرة، في الوقت الذي تحمل فيه كل عراقة التراث، وكل أصالته"[٦] وتمد التجربة الشعرية بمدرار واسع من المشاعر والعواطف والدلالات والإيحاءات التي تُستحضر بالتداعي بمجرد تلاقي النصوص وتعالق الأزمان في نص واحد، وانصهار المعاني معًا لتؤسس بقديمها وحديثها نصًا ثريًا متجذرًا في الدلالة والمعنى، فالتراث تجربة ماضي الإنسانية، وهو نتاج عمل المؤرخين في إعادة تشكيل مجرى الأحداث وفقًا للنصوص المدونة بأسلوب قصصي ونثري تداولته القرائح وحفظته في المصنفات لكي يكون عمادًا وركيزة ومنطلقًا للإبداع[٧].

---

[٤] حمود السعودي، التراث الشعبي وعلاقته بالتنمية في البلاد النامية، دراسة تطبيقية في المجتمع اليمني، ط٢، عالم الكتب، القاهرة، ١٩٨١ ص ١٠١.

[٥] محمد عابد الجابري، التراث والحداثة دراسات.. ومناقشات، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، ١٩٩١ ص٢٤.

[٦] علي عشري زايد، توظيف التراث في شعرنا العربي المعاصر، مقالة، مجلة فصول ص ١١.

[٧] انظر: محمد وهابي، مفهوم التّناص عند جوليا كرستيفا، مجلة علامات، ج ٥٤، م ١٤ ديسمبر ٢٠٠٤ ص١٠١.

(ISSN: 2536 - 9555)

أصبح الربط بين الشاعر المعاصر والتراث؛ قضية هامة في النقد أو المشهد الفني الأدبي المعاصر، إذ أصبح للتراث علاقة مهمة في تشكيل الخطاب الشعري في هذا العصر يرتكز عليها الشاعر من أجل التعبير عن تجربته الشعرية في أفضل صورها ومعادلاتها الفكرية والحسية والموضوعية، ويتمثل التراث في "ما بقي من الماضي ماثلًا في الحاضر الذي انتقل إليه ويستمر مقبولًا ممن آل إليهم وفاعلًا فيهم لدرجة تجعلهم يتناقلونه بدورهم على مر الأجيال"[٨] والتراث يجسد لكل أمة من الأمم ومجتمع من المجتمعات وشعب من الشعوب أينما كان "قوامه الاجتماعي، والإنساني، والسياسي، والتاريخي، والخلقي، ويوثق علائقة بالأجيال الغابرة التي عملت على تكوّن هذا التراث وإغنائه"[٩] ليظل نبضه يعلو ويبقى معينًا لا ينضب لمن أراد الاستزادة منه.

مما سبق تشكلت علاقة الأديب المعاصر بالتراث ومنه شاعر أبها لتكون علاقة تقدير لما حفل به، ولما عايشه السلف والأجداد من تجارب وصاغوه في قوالب بقيت خالدة حتى يومنا هذا، بكلماتها وفكرها ومشاعرها، وما غنيت به من قيم ودلالات، ثم هي علاقة إفادة من كل ما حمله وزخر به.

ولقد تبلورت هذه العلاقة بشكل إلزامي ضروري يُثري الشعر ويضاعف أدوات الشاعر ويغنيها، ويزيد قصائده إبداعًا وجمالًا حتى بات لزامًا عليه أن يقف من تراثه موقفًا إيجابية فاعلًا لا يتجاهله أو يُعاديه"[١٠] بل يعيد إحياءه في قوالب شعرية موازية، وفي أطر شعورية تضاهيها قوة وصدقًا، مستفيدًا من كل ما

---

[٨] بيار بونت، ميشال إيزار وآخرون، معجم مصطلحات الأثنولوجيا والأنثربولوجيا، ترجمة: مصباح الصمد، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع "مجد"، ط٢، بيروت، ٢٠١١ ص٣٦٦.

[٩] جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، ط٢، بيروت، ١٩٨٤ ص٦٣.

[١٠] فوزي الحاج، الشعر العربي في القرن العشرين، مكتبة القدس، ط٢، غزة، ٢٠١٢ ص٢٦٢.

تضمنته من تقنيات على المستوى الجمالي والدلالي والتركيبي مقدمة إياها بأسلوبية مميزة وبإيحاءات غنية جذابة.

لقد رسخت كل تلك الأفكار التي استعرضناها عن التراث وما يمكن أن يحمله من قيم ومدلولات في فكر شاعر أبها، وفي نصوصه التي تشربها جيدًا؛ إذ اختزن شعره عبقًا تليدًا من التراث، سواء ما اختص بها الشخصيات أو الطقوس أو المعتقدات، وماله صلة بالأساطير والملاحم الشعبية، وصاغها بأسلوب بديع، محكمًا سبكها وتوظيفها بجمالية فائقة يتواكب مع أحداث العصر وقضاياه.

والفكر التراثي في قصائد شاعر أبها حاضر بعواطفه الجياشة وشوقة الملتهب، ولغته العربية الفصيحة، وموسيقاه العذبة وقافيته وروية الواحد، يرسم صورة الشاعر بالموضوع والكلمة وبالطلل والشجون ذاته؛ فتجدك وأنت تقرأ الكثير من قصائده تُحيلك الكلمات إلى أشعار القدماء بكل تفصيلاتها، أو يتهيأ إليك أنك تقرأ أصلًا قصيدة لأحد شعراء العربية الأقدمين.

يعد استرفاد التراث فى الشعر الحديث من أكثر العناصر الفنية حضورًا ولفتًا للانتباه[١١]، وأضحى أحد وسائل التعبير عن مقاصد التجربة الشعرية وحمولاتها، وإذا نظرنا في معاجم اللغة العربية نجد مادة (رَفَدَ) عند ابن منظور في لسان العرب: الرِّفْد، بالكسر: العطاء والصلة. والرَّفد، بالفتح: المصدر. رَفَدَه يرْفِدُه رَفدًا: أعطاه، ورفده وأرفده: أعانه، والاسم منها الرِّفْد. وتَرَافَدُوا: أعان بعضُهم بعضً. والمَرفَد والمُرْفَد: المعونة؛ وفي الحواشي لابن بَرّيّ قال:

دُكين: خير امرئ قد جاء من مَعَدّهْ مــن قبلــه، أو رافِــدٍ مــن بعــده

[١١] عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضايا وظواهره الفنية والمعنوية، ثقافة، بيروت، ١٩٨١، ص١٩٥.

(ISSN: 2536 - 9555)

والاسم الرِّفْد. والإرْفاد: الإعطاء والإعانة. والمرافَدة: المُعاونة. والتَّرافد: التَّعاوُنُ. والاسترفاد: الاستعانة. والارْتِفَاد: الكسب[١٢].

وهذا المعنى اللغوي هو في حقيقته قريب من معنى الاسترفاد في الحقل الأدبي الذي يمثل الاستحضار والاستعانة بكلمة تدل على محسوس، أو غير محسوس، أو تشير إلى معنى غير محدد بدقة، ومختلف حسب خيال الأديب، وقد يتفاوت القراء في إدراكه، بمقدار ثقافتهم، ورهافة حسهم، فيتبين بعضهم جانبًا منه وآخرون جانبًا ثانيًا. أو قد يبرز للعيان فيهتدي إليه المثقف بيسر، وقد يلجأ العديد من الشعراء إلى استخدامه للتعبير عن تجاربهم وأفكارهم وعواطفهم، فهو يمثل إشارة محسوسة، تذكر بشيء غير حاضر، ويعد استرفاد الأديب للتراث دليلًا على عمق ثقافته، وسعة اطلاعه، وخبرته.

---

[١٢] ابن منظور، لسان العرب، دار صادر– بيروت، الطبعة: الثالثة– ١٤١٤هـ، فصل الراء ج (٣)، ص١٨١– ١٨٣.

– وعين هذه المعاني هي الواردة في تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني، أبو الفيض الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية، ج (٨)، ص١٠٧– ١١١.

– والمصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، الناشر: المكتبة العلمية– بيروت، ص ٢٣٢.

– والقاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت– لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م، فصل الراء، ص٢٨٣.

– والمعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، (إبراهيم مصطفى/أحمد الزيات/حامد عبد القادر/محمد النجار)، الناشر: دار الدعوة، باب الراء، ص٣٥٩.

والاسترفاد لا يقرر ولا يصف بل يومئ بوصفه تعبيرًا غير مباشر عن النواحي النفسية، وتتولد فيها المشاعر عن طريق الإثارة النفسية لا عن طريق التسمية والتصريح.

وفي هذا البحث سأتناول تجليات التراث عند شعراء مدينة أبها، من حيث كونه– استرفاد التراث– ظاهرة لديهم، غالبًا على نتاجهم، مع اختلاف توجهاتهم وأفكارهم، وسأركز على اكتشاف تلك التجارب الساكنة أبياتهم الشعرية، مع التعريج على كيفية توظيفهم لأنماطه التاريخي منها والديني، أو الثقافي أو السياسي، أو الأسطوري، أو الشعبي، أو المكاني...

ومن خلال تتبعي لما كُتب عن الشعر فى أبها لم أجد دراسة مختصة بتجليات التراث عند شعراء أبها، بل كانت في غالبها تتناول جوانب أخرى تتعلق بالشعر والنثر في هذه المنطقة، ومنها رسالة دكتوراه مقدمة من الدكتور أحمد التيهاني بعنوان: الشعر في منطقة عسير من عام ١٣٥١ إلى ١٤٣٠هـ، وهي دراسة ركزت على الجانب التاريخي للشعر في منطقة عسير بشكل عام، متناولًا فيه مصادر الشعر وموضوعاته، ثم الحديث عن السمات الفنية من خلال جانبي: البناء واللغة مركز على العنونة، والمطالع، والوحدة الفنية، والمعجم الشعري.

ومن الدراسات كذلك: أبها في الشعر السعودي المعاصر دراسة فنية موضوعية، وهي رسالة ماجستير مقدمة من منصور القرني في كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى عام ٢٠٠٥م، وتتناول هذه الدراسة المشهد الجغرافي بوصفه مكانًا جميلًا، يدفع إلى امتلاك بُعد شعري، ينتقل من فضاء الكون إلى فضاء النص، وتتناول هذه الدراسة استظهار (أبها) بوصفها الموضوع الشعري لنصوص الدراسة، مع التعريج على قضية التعادل الموضوعي بين المرأة والمكان في نصوص الشعراء، ثم تناولت بعد ذلك مظاهر الاغتراب فى تلك النصوص الشعرية المؤدية إلى ظاهرة الهروب إلى الطبيعة، وتناولت الدراسة بعد ذلك جوانب

(ISSN: 2536 - 9555)

فنية كاللغة والأسلوب، والصورة الشعرية، والتشكيل الموسيقي الداخلي والخارجي، ثم ختم بذكر تراجم الشعراء مشهورهم ومغمورهم، وهذه الدراسة خلت من دراسة التراث بجميع جوانبه ومجالاته.

التراث عند شعراء أبها:

تتنوع روافد استخدام التراث بحسب ما تمثله من أبعاد، واتجاهات، ولكن الجامع لها في هذا البحث أنها تاريخية، وسيحتوي هذا البحث على ستة روافد وهي: التراث الديني، والتراث الأدبي، والتراث السياسي، والتراث الشعبي، والتراث الأسطوري، والتراث المكاني، مع الحديث عن آليات توظيف هذه الأنواع لدى شعراء أبها.

أولًا: التراث الديني:

اختار شعراء أبها عددًا من الشعائر والصور والشخصيات الدينية، التي لها أثرها في الحياة الإنسانية وترتبط تاريخيًا بقضايا ذات علاقة بكيفية التعامل المجتمعي في الحقب الزمنية التي عاشت فيها، حيث إن حضورها يكون صورًا تختصر– دون أن تفقد الكثافة التأثيرية للتجربة الشعورية– سُبل طَرْقِ هذه القضايا، واتخذ الشعراء من المعتقد الديني صورًا يؤكدون بها أو من خلالها توجههم العقدي والنفسي، ويرسمون صورتهم التي قد يكون تكونها خارجًا عن إطار أفكارهم، إلا أن التراث يجنح بها لتصب في معينه حيث إن غاية الصورة التراثية ليس فقط أن تجلو ثقافة الشاعر أو خبرته، بل إنها سابقة على الفكر والشعور.

استلهم شعراء أبها آيات القرآن الكريم بما تحمله من معان ليعبروا بها عن ما يدور في أذهانهم، سواء كان بذكر جزء من الآية، أو بتضمين معناها في البيت الشعري، فإذا أراد الشاعر أن يعبر– مثلًا– عن قصر الحياة وزوالها فإنه قد يتحدث عن الآخرة ودوامها، كما وردت في كتاب الله تعالى، فالضد يميز الأشياء

كما قيل، وإذا أراد الحديث عن جمال الدنيا وفتنتها، فالتعبير عن ذلك في القرآن كثير متنوع، ومن هذه الأمثلة وغيرها في القرآن استمد الشاعر في أبها مادته، وصوره، وخيالاته، متسلحًا بثقافته الدينية، وتمكنه من اللغة وجمالياتها، نافذًا من خلال الصور القرآنية إلى داخل الصورة الشعرية رغبة في أن تنعم صورهم بظلال الصورة القرآنية، وقدرتها البارعة في أداء المعنى، ويأتي استلهام النص القرآني في الشعر شعارًا موحيًا بالمعنى وسبيلًا لإيصال رسالة الشاعر إلى متلقيه.

وفي هذا السياق نجد الشاعر أحمد بيهان في ديوانه نزيف المشاعر يحاول أن يضمن أبياته معنى قوله تعالى: (فيهن خيرات حسان(٧٠) فبأي آلاء ربكما تكذبان(٧١) حور مقصورات في الخيام(٧٢)) [سورة الرحمن/٧٠-٧٢].

فيقول من قصيدة بعنوان: (إلى أبها)[١٣]:

فُوجِئْتُ بِالحورِ الحِسانِ فأيقنتْ رُوحِي بوصفِ اللهِ في جَنَّاتِهِ

مَا هَذِهِ الفِردوسُ بل هي جنةٌ في الأرضِ يَعشقُها الجمالُ بذَاتِهِ

الشاعر يريد أن يذكر شيئًا من جمال أبها، فلم يجد ما يجعله دليلًا على رؤيته أجمل من أن يُضمن حديثه ومناجاته لها تلك الآية الكريمة الممتلئة بالصور والمعاني؛ فالفردوس، والحُور الحسان، والجنة، كلها صور موحية بالجمال والحيوية وتجتمع مع أبها في الجمال والكمال والبهاء.

ومن هؤلاء الشعراء الذين اتخذوا من القرآن الكريم ونصوصه ما يعبرون به عن مشاعرهم و أحاسيسهم، الشيخ القاضي هاشم سعيد النعمي كما في مقطوعته الشعرية التي أنشدها في أبها[١٤] **ويقول فيها:**

---

[١٣] أحمد عبد الله بيهان، ديوان نزيف المشاعر، نادي أبها الأدبي، ١٤٠٤هـ ص١٨٤.

[١٤] انظر: هاشم النعمي، شذا العبير من تراجم علماء وأدباء ومثقفي منطقة عسير، من إصدارات نادي أبها الأدبي، ط١، ١٤١٥هـ، ص٣٤٨.

(ISSN: 2536 - 9555)

تحبُهـــــــا راقصـــــــةً بحَرَكَـــــــاتِ الجَـــــــرَسِ
مثـــــلُ الغَـــــواني خِلتُهَـــــا أو كـــــــالجوارِ الكُـــــــنسِ
قـــــدْ ضَـــــرَبتْ أشـــــجَارُها خيـــــامَ وَشـــــي سُندســـــي

والصورة في البيت الثالث مستلهمة من قوله تعالى "الْجَوَارِ الْكُنَّسِ" سورة التكوير الآية (١٦)، وفيها إيحاء بديع، وصورة متحركة جميلة، تضيف للمعنى المراد صورة حية متجددة، ولكن السؤال الذي يتسارع إلى عقل المتلقي هو: ما الذي استوقف النعمي عند الجوار الكنس، وهي كواكب في السماء، بعيدة عن العين سابحة في الملكوت الأعلى؟ ولعل الجواب على ذلك ؛ أن الذي استوقفه هو ذلك المشهد الحي لتلك الكواكب التي تشبه الظباء في سرعتها، وخفتها، وجمالها، وهي حركة تنبض بالحياة، وترسم لوحة من الجمال والبهاء، فأبها الجميلة الحالمة بهوائها، وأشجارها، والحياة المتحركة فيها توحي بالديمومة والجمال والعطاء.

وإذا ما تأملنا الصورة عند الشاعر عبدالله الزمزمي نجده يتخذ من قوله تعالى: (وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبًا جنيًا) [مريم: ٢٥] مادة لشعره فيقول في قصيدة (اشتياق) من ديوان مواجع قلب[١٥]:

هُــزي إليــكِ بجِــذعِ الــوُدِ وازدَادِي وانصِـفِي القلـبَ مـن أقـوال حُسّـادي
روضُ الريـاضِ إذا مـا زرتـه أرتَسمتْ بِـــهِ الأزاهـــرُ واشـــتاقتْ لميعـــاد

الهز صورة تفيض بالحركة وتنبض بالحياة وخاصة إذا كان ذلك الهز مع كل تلك الرياض المشتاقة للحياة.

وأفاد الشاعر تركي العصيمي من معاني القرآن في قصيدته التي يصف فيها أبها المدينة الساحرة[١٦]:

[١٥] عبدالله محمد الزمزمي، ديوان مواجع قلب، إصدارات نادي أبها الأدبي، ١٤١٥هـ، ص١٤.

وإنـــي لأهواهـــا لُحبـــي لأهلهـــا فصـارتْ تـرى عينـي ثَرَاهَـا كمسـجدِ
ووادِ ســقاه المــزنُ حتـــى أفـــاضَ فَأضـحَى كصـرحٍ مِـن زُجَـاجٍ مبـردِ

فقد نظر إلى قوله تعالى حكاية على لسان سليمان- عليه السلام-: (قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وكشفت عن ساقيها قال إنه صرح ممرد من قوارير قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين(٤٤)) [النمل: ٤٤]، واستمد منها هذا المعنى، وتلك الصور الجميلة، للقصر الممرد بالقوارير.

لقـد خَصــها البــاري بحُسـن طبيعـة فلــيس عليهــا للحضــارةِ مِــنْ يــدِ
ألا أن أبهــا منبــعُ السِــحرِ والهَــوى فغَنِـــي ورائـــي يـــا قلـــوبُ ورددي
ويــا قلمــي صِــفها وياشــعرُ قُـل لهـا ويــا ليـلُ بلِّغهـا ويــا أنجـمُ اشـهَدي

كذلك أبها في نظره، تلك الحسناء التي لم تمسسها يد صانع، بل هي منبع السحر والجمال، فواديها الأشم كالصرح الممرد بالقوارير، ظاهره كباطنة صفاءً ونقاءً.

ومن تجليات معايشة شعراء أبها لواقع أمتهم، في كل مكان من هذ الوجود نجد بيهان يصف كشمير (وهي الجزء المسلم بين الهند وباكستان) ويشببها بجنة (عدن) التي أصبحت شعارًا للخلود وشارة للجمال، **فيقول**[١٧]:

كشــمير يــا عــروس الزمــان وتاجــه يــا فتنـــة تنســاب فـــي أوصـــالي
مـــا أنـــت إلا (عـــدن) لـــولا أنهـــا تبقـــى.. وأنـــت مدينـــة بـــزوال

---

[١٦] تركي بن صالح العصيمي، ديوان قلب في أبها، إصدارات نادي أبها الأدبي، ١٤١٧هـ، ص ١١٦.

[١٧] نزيف المشاعر، ص١٨٩.

(ISSN: 2536 - 9555)

وقد استل هذا المعنى، من قوله تعالى: (وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم) [سورة التوبة/٧٢]

لم يكتف شعراء أبها عند استلهام معانيهم ومشاعرهم من القرآن الكريم فحسب، فقد كانت شخصيات الأنبياء، والصحابة الكرام، ميدانًا واسعًا، فينقشوا فيه صورهم ويبثوا فيه شيئًا من تجاربهم، ويستلهموا من تلك القامات العالية معان كبيرة، لاتزال تنثر عبقًا تليدًا، كلما طال بها الزمان، ولعل شعراء أبها وجدوا في سيرة نبيهم– صلى الله عليه وسلم– ما جعلهم لا يفتأون في ترديد مواقفه، واستلهام سيرته العطرة، وجعل تلك المواقف العطرة، والشخصيات العظيمة، إشارات دينية تاريخية، دالة على كثير من المعاني.

ومن هؤلاء الشعراء الذين استوقفتهم سير رسول الله– صلى الله عليه وسلم– الشاعر أحمد بيهان، في قصيدته التي خاطب به جزيرته العربية، ليجعله بذلك علامة على عظمة هذه الجزيرة وقدسيتها، فيقول في قصيدته (إلى جزيرتي)[١٨]:

أجزيـــرةُ أنجبَـــتْ مثـــلَ (محمـــدِ) هـــادِي البَرِيَّـــةِ ســـيدِ الشُّـــفعاءِ

وتنزَّلـــت فيـــك الملائـــكُ بالهـــدى أو نجـــدة لفـــداء أبـــي الزهـــراء

ويتحدث بيهان في مكان آخر من ديوانه عن بعض الأنبياء الكرام، كعبد الله أيوب المبتلى المحتسب، الذي أصبح شعارًا للصبر على مر الدهور، يتحدث عنه بيهان ويذكر أن الصبر الذي لديه هو كصبر أيوب– عليه السلام– فيقول في قصيدة بعنوان (شفاف قلب) عن صبر أيوب[١٩]:

أيـــوبُ رأسُ الصـــابرين أظنُـــه سـيغارُ مـن صَـبري علـى أسْـقامي

[١٨] نزيف المشاعر، ص٢٧.

[١٩] السابق، ص٤٩.

أنـــا لا أقـــولُ تَرَفَّقـــي يـــا فتنتـــي بـــل عَـــذبي قلبـــي الجـــريحَ الـــدامِي

يجعل الشاعر بيهان– في هذا السياق– أبا البشرية آدم –عليه السلام– مثلًا للاعتراف بالخطأ، والعودة إلى الصواب، والندم على ما فات فيقول في قصيدة بعنوان (اعتراف)[٢٠]:

أنـا مـا سـلُوتكِ يـا عسـيرُ ورُبمـا غـارَ السَـمؤالُ مـن عظـيم وفـائِي
وا لوعَتَـا يـا (عـدنُ) إنـي آدمُ أقصِـيتُ عنـكِ ومـا جنـتْ حَوبَـائِي
ذنبـي كبيـرٌ بـأنني مُـتعطشٌ للعلـمِ لكنـي فقـدتُ رجـائِي

العلاقة بين التراث وبين الصورة الشعرية قضية مهمة يُستكشف من خلالها عوالم متعددة؛ وتسعى مع ذلك إلى استخدام أساليب جديدة لتطور بها فاعليتها وحضورها في نفس متلقيها مما يجعلها تبحث عن بلاغة جديدة وهي تلك التي تتمثل– كما يرى عز الدين إسماعيل– في بلاغة الصورة الشعرية، حيث يقول: "إن البلاغة الجديدة، بلاغة" الصورة الشعرية" تعد أوسع نطاقًا وأخصب من مجرد التشبيه أو الاستعارة وإن أفادت منها"[٢١] فالصورة في البلاغة القديمة– إذن– تنعكس فيما يوفره التشبيه أو الاستعارة من مطابقة، لكنها تظل أقل قدرة على الإثارة وأقل حضورًا، وأقل كشفًا عن الجديد، بخلاف الصورة التي أهم مميزاتها "أنها تشع في كل اتجاه"[٢٢].

ونجده كذلك يستلهم قصة يوشع بن نون صاحب موسى فيقول في قصيدة (العاجزون)[٢٣]:

---

[٢٠] السابق، ص١٠.
[٢١] الشعر العربي المعاصر، مرجع سابق، ص ١٤٣.
[٢٢] الشعر العربي المعاصر، ص١٤٨.
[٢٣] نزيف المشاعر، ص٣٩.

(ISSN: 2536 - 9555)

إنمـــا "إيـــلاتُ" قـــد دمّرهـــا زورقٌ حـلَّ بـه طيـفُ مُنَانَـا
فأعـــذْ شمسَـــكَ مـــن مرقـــدها لا تقـلْ (يوشـعٌ) قـدْ أودى فبَانـا

وهي قصة حبس الشمس لنبي الله يوشع بن نون عليه السلام التي رواها البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله– صلى الله عليه وسلم–: غزا نبي من الأنبياء، فقال لقومه: لا يتبعني رجل ملك بُضعَ امرأةٍ، وهو يريد أن يبني بها ولما يبنِ بها، ولا أحدٌ بني بيوتًا ولم يرفع سُقوفها، ولا آخر اشترى غنمًا أو خَلِفَات وهو ينتظر ولادها، فغزا فَدَنَا من القرية صلاة العصر أو قريبًا من ذلك، فقال للشمس: إنك مأمورة وأنا مأمور، اللهم احبسها علينا؛ فحُبِسَتْ حتى فتح الله عليهم، فجمع الغنائم، فجاءت– يعني النار– لتأكلها فلم تَطْعَمْها، فقال: إن فيكم غلولًا، فليبايعني من كل قبيلة رجل، فَلَزِقت يد رجل بيده، فقال: فيكم الغلول، فلتبايعني قبيلتك، فَلَزِقَت يد رجلين أو ثلاثة بيده، فقال: فيكم الغلول، فجاءوا برأس بقرة من الذهب فوضعوها، فجاءت النار فأكلتها، ثم أحل الله لنا الغنائم، رأى ضعْفَنا وعَجْزَنا فأحَلَّها لنا"[٢٤].

ومن الشخصيات التراثية شخصية (هاروت) الذي أصبح مثلًا للسحر وتأثيره والذي ذكره الله تعالى في كتابه الكريم، في سورة البقرة، ولذلك يسترفد بيهان هذا المدلول، فيقول من قصيدة (عد حيث جئت)[٢٥]:

مـا بـالُ عينـي لا تُصـدقُ مـا أرى من أنتِ يا ذاتَ الجمالِ الساحرِ؟!
قالـتْ أنـا السِـحْرُ.. الـذي أدلـى بـهِ (هاروتُ) فـي وهـجِ الزمـانِ الغابرِ

[٢٤] مسلم (١٧٤٧)، والبخاري (٣١٢٤)، واللفظ له.
[٢٥] نزيف المشاعر، ص٩٢.

وكان بكاء يعقوب على ابنه يوسف– عليهما السلام– حتى فقد بصره، مادة يعبر بها الشاعر عبدالله الزمزمي، عن ألمه ومعاناته، وبكائه وحزنه فيقول في قصيدة بعنوان (وقفة مع شجرة)[٢٦]:

غَــابَ عنـــي لـــونُ الربيـــع لأنـــي نحـــوَ دَربِ الفَنَـــاءِ شـــدَّ وثـــاقِي
وأحـــالَ الضـــمورَ لَـــوني فأضـــحى مثـلَ (عينـي يعقـوبَ) بعـدَ الفِـراقِ

وقد كانت مسيرة الفاروق– رضي الله عنه– من أكثر السير إرفادًا للمبدعين، فعمرُ العادلُ، وعمرُ الصابرُ، والخائفُ من الله، والذي يعود إلى الحق، ولا يمنعه من ذلك مكانته ولو كان خليفة للمسلمين، يقول عنه الشاعر عبدالله الزمزمي، ويذكر وقوفه عند الحق[٢٧]:

يتهلـــلُ الفـــاروقُ حـــين يـــردُّه عـــن رأيـــهِ بـــالحقِ بعـــضُ إمـــاءِ
حمـــدًا لـــك اللّهـــم أخطـــأ حكمـــةً "عمـرٌ"... وقـالَ الحـق ذاتُ خبـاءِ

الشاعر هنا يستلهم تلك القصة التي رواها مسروق (قال: ركب عمر بن الخطاب منبر رسول الله ثم قال: أيها الناس ما إكثاركم في صداق النساء وقد كان رسول الله– صلى الله عليه وسلم– وأصحابه وإنما الصَّدُقات فيما بينهم أربع مائة درهم فما دون ذلك، ولو كان الإكثار في ذلك تقوى عند الله أو كرامة لم تسبقوهم إليها فلا أعرفنَّ ما زاد رجل في صداق امرأة على أربع مئة درهم، قال: ثم نزل فاعترضته امرأة من قريش فقالت: يا أمير المؤمنين نهيت الناس أن يزيدوا في مهر النساء على أربع مائة درهم؟ قال: نعم، فقالت: أما سمعت ما أنزل الله في القرآن؟ قال: وأي ذلك؟ فقالت: أما سمعت الله يقول: (وإن أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم إحداهن قنطارًا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانًا وإثمًا مبينًا)

[٢٦] مواجع قلب، ص٣٢.
[٢٧] نزيف المشاعر، ص٢٥.

(ISSN: 2536 - 9555)

[سورة النساء:٢٠]؟ فقال: اللهم غفرًا، كل الناس أفقه من عمر، ثم رجع فركب المنبر، فقال: أيها الناس إني كنت نهيتكم أن تزيدوا النساء في صدقاتهن على أربع مائة درهم، فمن شاء أن يعطى من ماله ما أحب. قال أبو يعلى: وأظنه قال: فمن طابت نفسه فليفعل)[٢٨].

وقد تغنى الشعراء بعدله وأفاضوا فى ذكره، يقول عبدالله الزمزمي في ديوانه "مواجع قلب" في قصيدة بعنوان "عبرة الحزن"[٢٩] مخاطبًا عمر رضى الله عنه: (رضى الله عنك يا من قلت: والله لو عثرت بغلة بأرض العراق لخشيت أن يسألني الله عنها، لما لم تمهد لها الطريق).

قلتَ لي: من تكونُ؟ قلتُ جريحٌ ... جئتُ عمدًا لكي أبثُكَ ما بي
عمر رحلتي تشتكي الكرامة قوما ... رمقوها بنظرة المتغابى
عمر لو رأيت مأساة قومي ... لأذقت السيوف طعم الرقاب
عمر لو رأيت مأساة قومي ... لتناسيت طعنة المحراب
عمر ما كبا جواد ولكن ... مات شهم فدرا بلا أسباب
قذ تموت الجراح في الصدر لكن ... سوف تبقى آثار طعن الحراب

ومن ذا الذي لا يذكر غضبه ومواقفه الشجاعة في الحق، فقد غضب على أبي عبيدة– رضي الله عنهما– حين عاتبه أبو عبيدة؛ لأن عمر لما دخل بيت المقدس لم يرتد ملابس تتناسب والخلافة، لأن عمر– رضي الله عنه– لا تغريه المظاهر وإنما الذي يحزنه أن يبقى المسجد الأقصى أسير بيد أعداء الله. وفي هذا

[٢٨] الحديث ضعيف، الضعفاء والمتروكين، لابن الجوزي (٣/٣٥).
[٢٩] مواجع قلب، ص١٢.

السياق يقول الشاعر زايد محمد الكناني في ديوانه (تقاسيم زامر الحي) من قصيدة بعنوان (رحيل البدر)[٣٠]، يذكر بغضبة عمر، ونصرته للحق:

المسجد الأقصى يهود جهرة وتنال منه شراذم الأقزام
والمسلمون يشردون وبؤسهم تمتاح منه وسائل الإعلام
لا غضبة الفاروق تنقذهم وقد شكت الأنوف روائح الأجسام

ويبحر الشاعر من خلال التراث بما يخدم قصيدته ويدعم الصورة ويؤازر التجربة، ويفتح الأفق واسعًا أمام المتلقي ليقرأ النص قراءات متعددة، مستمتعًا بما فيها من خفايا تجعل المعنى قريبًا وبعيدًا، وهو بذلك يساعد الناقد ليخرج من القراءة التقليدية أو الكلاسيكية للعمل الأدبي التي لا تتعدى الشرح ولا تتجاوز التعليق إلى الموقع الذي يتيح له أن يبني نصًا جديدًا.

خالد بن الوليد من الكيانات العظيمة في تاريخنا الإسلامي المجيد، فقد خاض نحو مائة معركة، خلال مسيرته العسكرية دون أن يهزم، مما جعل منه واحدًا من خيرة القادة عبر التاريخ، تلك السيرة العطرة لهذا الصحابي الجليل جعلت الشعراء يستلهمون شجاعته، ليعبروا بها عن حالهم، وحال أمتهم، وما يعانون من ضعف وهوان، ولذلك نجد الزمزمي يخاطب خالدًا واقفًا على قبره مناديًا، مستلهمًا تلك السيرة العظيمة فيقول في ديوانه "هذا أنا" في قصيدة (وقفة أمام قبر خالد بن الوليد)[٣١]:

يا مجي من بعد طول الجهاد كيف ألفيت طعم هذا الرقاد
هل سمعت النداء يسري جريحا وأسى السيف والقنا والجواد
ليس عيبا بأن أبثك حزني حين يروي التاريخ عن أجدادي

[٣٠] زايد محمد كناني، ديوان تقاسيم زامر الحي، إصدارات نادي أبها الأدبي، ١٤٢٢هـ، ص١١٨.
[٣١] عبد الله محمد الزمزمي، ديوان هذا أنا، إصدارات نادي أبها الأدبي، ١٤٢١هـ، ص٦٩.

(ISSN: 2536 - 9555)

لسـت تـدري ولسـت أدري ولكـن حســـبنا أننـــا علـــى ميعـــاد

ولم يتوقف الشعراء عند الشخصيات الإسلامية، بل تعدى ذلك إلى المناسبات الإسلامية، فهم يتغنون بها، ويترنمون بذكرها، فرمضان عدوه زمنًا للتوبة وشعارًا للصبر على مشاق الحياة، يقول أحمد التيهاني فى ديوانه (أماريق) في قصيدة بعنوان (رمضان في الزمن الخصيب)[٣٢]:

ونما الشعور..

حتى ملكت مليكتي..

فسكنت أحداق الغيوم..

رمضان..

حب..

وسمو... وصلات..

وصلاة..

ويتضح من هذه الجولة السريعة مدى انتشار العناصر التراثية الدينية– نصوصًا وشخصيات وسير– ولعل الخلفية الدينية الإيمانية، التي يتمتع بها أغلب الشعراء هنا، هي التي جعلتهم يستلهمونها في شعرهم، ويسترفدونها في إبداعهم، ويربطون صورهم بتلك الإشارات التي يتقبلها القارئ، ويسعد بها، والملاحظ أن توظيف المخزون الثقافي لا يحتاج للبحث عن سبب حضوره في ثنايا قصائدهم، فيكفيك أن تقرأ هذا الحضور مباشرة فتكشف دوره في نسيج الفكرة وتكوين المعنى في المنظومة.

لقد جاء الموروث الديني في الخطاب الشعري، لدي شعراء أبها، مندرجًا في بقية القصيدة المتكاملة، فقد استخدم الشعراء العناصر الدينية ووظفوها لتحقيق أهداف معنوية من خلال التمثيل والمشابهة بالدلالة المغايرة أو المماثلة، وتعد

[٣٢] أحمد عبد الله التيهاني، ديوان أماريق، إصارات نادي أبها الأدبي، ١٤٢٠، ص٢٧.

القصيدة المعاصرة في المملكة أكثر غنى وتنوعًا لاستمدادها بالمعطيات الضخمة من الشخصيات والمواقف الدينية التي وظفها الشعراء توظيفًا بنائيًا تكامليًا، "المكون التراثي في الخطاب الديني عند شعراء أبها يسهم بنصيب وافر في تعميق البنية الموضوعية للقصيدة السعودية كما أنه يمثل وسيلة فنية من وسائل المعالجة الدقيقة على المستوى الفردي المباشر والمستوى التركيبي في سياق النص، وهنا تتأكد العلاقة بين الدلالة الدينية والدلالة اللغوية في مسار النصوص الشعرية"[٣٣].

ثانياً: التراث الأدبي:

تاريخ الأدب العربي مليء بكثير من المواقف، والشخصيات، التي يستمد منها الشعراء العرب مادة خصبة في شعرهم، وكتاباتهم، وسأتناول هنا تلك التجارب الأدبية والثقافية التي كان لها حضور لافت عند شعراء أبها، محاولًا الوقوف على أهم جوانب ذلك التمثل والحضور في كثير من نظمهم، ولعل من أهم اللبنات الأدبية المستلهمة في شعرهم شخصية (قيس بن الملوح) الشاعر العاشق، وهو يمثل عنوانًا للحب وشعارًا للعشق الصادق الخالد في الضمير، يقول بيهان في ديوانه نزيف المشاعر في قصيدة "شفاف قلب"[٣٤]:

مـــالي فقـــدت تعقلـــي وأصـــابني ... مثل الجنون المحض من أوهامي
يـا حـب يـا همـس العواطـف فـي ... مـــاذا فعلـــت بهيبتـــي ومقـــامي
مـــا قـــيس مـــا المجنـــون إلا ذرة ... وأنـــا خضـــم زاخـــر مترامـــي

---

[٣٣] د. أسماء أبو بكر أحمد، آليات التناص النوعي فى شعر الحداثة منشورات مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة ط١، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م ص٤٦- ٤٨.
[٣٤] نزيف المشاعر، ص٤٨.

(ISSN: 2536 - 9555)

ومن الشخصيات الحاضرة في ذاكرة الشعراء؛ ذلك العاشق الوله (كثير عزة)، وهو من الأمثلة التي ضربها الشعراء تعبيرًا عن حالة العشق واستحضارًا لآلامه التي يعانيها ذلك العاشق المحروم، فيقول عنه بيهان في قصيدة (شفاف قلب)[٣٥]:

مـــا ذاق مـــن ألـــم كثيـــر عـــزة معشـــار مـــا أخفيـــه عـــن لـــوامي

أما الشاعر العربي (السموأل بن عادياء) الذي قال فيه الاعشى مدحًا[٣٦]:

كن كالسموءل إن طـاف الهمـام بـه فـــي جحفـــل كســـواد الليـــل جـــرار

بـــالأبلق الفـــرد مـــن تيمـــاء منزلـــه حصـــن حصـــين وجـــار غيـــر غـــدار

فقد كان يضرب به المثل في الوفاء، حتى أصبح شعارًا لتلك القيمة التي يتغنى بها العرب، ويتنافسون في المديح بها، ومن يتصف بها لا يغدر مهما كان السبب، حتى قيل في أمثال العرب (أوفي من السموأل)، تأمل قول بيهان[٣٧]:

أنـــا مـــا ســـلوتك يـــا عســـير وربمـــا غـــار الســـموأل مـــن عظـــيم وفـــائي

يـــا فتنـــة ســـجد الجمـــال مســـبحا مـــن فـــرط حســـن مروجـــك الخضـــراء

تجده يؤكد على أن وفاءه لأبها يفوق ما كان يوصف به السموأل، بل يصل به الأمر إلى الغيرة من عظيم الوفاء، والذي دعاه لذلك الجمال الساحر الذي تتميز به هذه المدينة الحالمة.

نال عنترة بن شداد العبسي حظًا عظيمًا لدى الشعراء، فهو من الشخصيات الهامة التي يضرب بها المثل في الشجاعة، فإذا ذكرت تلك الصفة فلن يتبادر إلى ذهنك غير عنترة، الذي جمع في خصاله الفروسية والشجاعة والكرامة، وهو عند

---

[٣٥] السابق، ص٤٨.

[٣٦] الأعشى، ديوان الأعشى الكبير، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥، ص١٧٩.

[٣٧] السابق، ص٩.

شعراء أبها مثل لكل تلك الصفات، وكثيرًا ما يرد في قصائدهم، ومن ذلك ما قاله عنه بيهان[٣٨]:

أو لـــيس عنتـــرة الفـــوارس نفحـــة عطريـــة الأنفـــاس فـــي أرجـــائي
قلـــب حديـــدي... وســـيف صـــارم وبســـالة الأبطـــال فـــي الهيجـــاء
إن قيـــل أن عنتـــر فـــالفوارس رعـــد مـــن عزمـــة.... جبـــارة ومضـــاء
أو قيـــل عبلـــة فهـــو قلـــب واجـــف روح تفـــيض بدمعـــة حمـــراء
يـــا جـــامع الضـــدين فـــي أحشـــائه قلـــب الشـــجاع ومهجـــة الحســـناء

لابد للشاعر الذي يرغب في توظيف التراث في شعره من ثقافة وتجربة واسعة، لأن التراث مرتبط ارتباطًا مباشرًا بالتجربة الشعورية التي يعانيها الشاعر، والتي تمنح الأشياء مغزى خاصًا، ولذلك فالماضي في الشعر الحديث من عناصر التعبير التي لا تواجه الفكرة مباشرة، وإنما تخاطبها من وراء حجاب لإيصال رسالة معينة، وهذا الأسلوب من إبداع الشاعر يتصل بشكل كبير بخياله، وإحساسه، وثقافته.

أما كرم (حاتم الطائي) فقد أصبح مضرب المثل لدى الشعراء عمومًا، وشعراء أبها خصوصًا، يقول عنه بيهان في قصيدته (إلى جزيرتي)[٣٩]:

أجزيـــرة ألهبـــت عنتـــر نخـــوة أولست من أشعلت جود الطائي
لـــم يعـــرف الكـــرم الأصـــيل كحـــاتم منـــه النـــدى يفضـــي بكـــل حيـــاء

[٣٨] السابق، ص ١٨.
[٣٩] السابق، ص٢١.

(ISSN: 2536 - 9555)

ولم يغب شاعر العربية (المتنبي) الذي شغل الناس قديمًا وحديثًا، عن ذاكرة شعراء أبها، يستلهمون شاعريته، ويستدعون مواقفه، ويستحضروان إبداعه، تقول عنه فاطمة القرني في قصيدتها (وزائرتي كأن بها حياء..)[٤٠]:

ولكن مال "بنت الدهر" مسرى.. ... إلى لحن.. وما أغنى التعامي

بلى جارت. فما أبقت صوابا لذي وجد.. مدى للمستهام..

بلى يا عين.. زارت ثم جارت.. .. فطل يا ليل واقصر يا ملامي

ويبعث الزمزمي رسالة إلى أبي الطيب المتنبي، بعد أن قرأ قصيدة المتنبي (لك يا منازل) فيقول في قصيدته "رسالة موجزة إلى المتنبي"[٤١]:

امتطيت الأشعار نحوك لما رسمت لي الأشواق رحلة دربي

وعبرت الزمان جسرا وقلبي وهمومي ما بين سلم وحرب

حفظ الدهر ما نطقت وأملي أيدر نظمت يا متنبي

أما الشاعر التيهاني فيستلهم قصيدة (الشنفرى الشاعر الأزدي) عمرو بن مالك الأزدي:

أقيموا بني أمي صدور مطيكم فإني إلى قوم سواكم لأميل

فيقول في قصيدة له بعنوان (مقال العائدين)[٤٢]:

روي الحجاج إذ عادوا.

فصولا تبهر العينين بالومضة.

وفي التاريخ أغنية.

وأخلاق و"لامية".

---

[٤٠] فاطمة القرني، ديوان عندما غنى الجنوب، إصدارات نادي أبها الأدبي، ١٤٢٩هـ، ص١٢.

[٤١] ديوان هذا أنا، ص٣٣.

[٤٢] ديوان أماريق، ص١٤٠.

بها الأزدي في رفضه.

ينادي المبدأ الآتي:

أقيموا يا بني أمي.

صدور مطية المنأى.

لأن الحق في ذاتي.

يخلق مضغة الرحلة.

ويبقى السؤال الأهم كيف وظف الشعراء هذه الثقافة التراثية في تحقيق ما يسعون إليه؟

كان للشاعر القديم حضور بارز في وجدان شعراء أبها، فقد استحضروهم كروافد شعرية لها مكانتها القوية في الذاكرة العربية قديمًا وحديثًأ، وغدت تلك الأسماء ملهمة لهم، يعبرون بها عن قضاياهم العصرية ويستحضرونها في تجاربهم المختلفة، فالمتنبي– مثلًا– كان ولازال اسمًا له حضوره الطاغي عند كثير من الشعراء، حفلت به قصائدهم، فنجد الشاعرة فاطمة القرني في قصيدتها "وزائرتي كان بها حياء.."[٤٣]، تتخذ من أبي الطيب المتنبي مثلًا أدبيا تستوحي منه بعض الدلالات الأدبية والتاريخية، وتتناول قصيدته المشهورة في الحمى، لتعبر بها عن حالتها النفسية، فحالة المتنبي النفسية جراء الوقيعة بينه وبين كافور الإخشيدي، وصلت به إلى أعلى مراحل اليأس والضعف، إلا أنه قاوم، وخرج من مصر، بعد معافاته من الحمى وهذه الحالة تصور حالة الشاعرة لتتجاوز معاناتها وآلامها.

ثالثاً: **التراث السياسي**:

كثيرًا ما نجد الشعراء يتخيرون من الأحداث، والشخصيات السياسية ما يجعلونه مثلًا حاضرًا بقوة في قصائدهم ونتاجهم الأدبي، يستلهمونها ويعبروا من

[٤٣] ديوان هذا أنا، ص٣٣.

(ISSN: 2536 - 9555)

خلالها– ولو من طرف بعيد– عن حياتهم السياسية التي يعيشون فيها، وهم جزء من تلك الحياة، وشعراء أبها كغيرهم من المبدعين تستوقفهم كثير من المواقف والشخصيات السياسية، فيضمنونها قصائدهم، فنجد شاعرًا مثل أحمد بيهان يستذكر داحس والغبراء، تلك الواقعة التي نشبت فيها الحرب بين قبيلتين في الجاهلية، واستمرت قرابة أربعين سنه، حتى تدخل من تدخل للصلح، فخمدت نارها، يقول في قصيدة بعنوان "إلى جزيرتي"[٤٤]:

عـرب تكـاد تحـس فـي أحـداقهم وهـج اللسـحيب.. وقسـوة الصـحراء

لـم يشـهد التـاريخ ابشـة وقعـة مـن داحـس المشـؤوم والغبـراء

وبيهان في هذه القصيدة يلمح إلى ما آلت إليه هذه الجزيرة من نعمة الاستقرار، والأمن، بعد سنوات من الضياع، والاختلاف والخوف، ويشير إلى خطورة الاختلاف والاعتداء على الآخرين، ويحذر منه من خلال تذكير الناس بحروب داحس والغبراء التي فتكت في الناس زمنًا طويلًا، ومن هنا أصبحت شعارًا معبرًا عن خطورة الاختلاف من جهة، والدعوة إلى الاجتماع والوحدة من جهة أخرى.

ومن الأحداث التي استدعت انتباه شعراء أبها، مخاطبة هارون الرشيد السحابة، بعد أن بلغ ملكه ودولته مبلغًا عظيمًا، فيقول لها لما رآها تمر على بغداد دون أن تمطر (أمطري حيث شئيت فسيأتيني خراجك)، فيستلهم الزمزمي هذا الموقف في ديوانه (هذا أنا) وفي قصيدة بعنوان (إنه موطني)[٤٥] فيقول:

صـور ترتمـي أمـامي عطشـى ثـم تـروى علـى صـدى تحنـاني

فهنـاك "الرشـيد" يلقـى سـؤالا مـا صـنعتم للمجـد فـي أوطـاني

[٤٤] السابق، ص ١٨.

[٤٥] ديوان هذا أنا، ص ٧٩.

يـــأتي بعـــدكم ســـحائب خيـــر أبـــدلت فـــي ســـمائنا بالـــدخان

وفي أبيات الزمزمي يصبح الرشيد ميراثًا سياسيًا معبرًا عن القائد القوي الحكيم الذي يملك مقومات تجعل منه موقنًا بأن الخير سيعم حدود بلاده جميعها، وهنا إشارة إلى العدل والمساواة بين أفراد الشعب، فلا تفضيل لبلد على آخر، ولا عرق على عرق، بل الجميع سواسية تحت إمرة هذا الحكم، وهو هنا يمثل هذه البلاد بما أعطاها الله من نعم وما منحها من أمان عم الجميع.

ومن الغريب أن التاريخ السياسي عند شعراء أبها لا يقتصر على المسلمين فقط، بل قد يمتد إلى غيرهم، وهذا يدل على شمولية الإسلام، وقد ظهرت هذه الشمولية واضحة جلية في عطاء الإسلام الحضاري، فهو لا يقتصر على جوانب الحياة الاقتصادية، والسياسية والاجتماعية، والفكرية، فحسب بل يشمل كل متطلبات الإنسان الروحية، والعقلية، والبدنية، وهذه الحضارة شهد بها الأعداء قبل الأصدقاء، ولذلك نجد الشعراء يتبارون في نظم تلك المآثر الخالدة، ويؤكدون على تلك الفضائل الباقية، وتلك الحضارة التي لم يعرف التاريخ مثلها، وحين تتأمل معي أحمد بيهان وهو ينادي في قصيدته (شارلمان)، إمبراطور الدولة الرومانية[٤٦] فيقول:

صـنعوا بـه فـي الكـون خيـر حضـارة أقـــوى مـــن الفـــولاذ عنـــد لقـــاء

مـــن علـــم الـــدنيا الصـــناعة قبلنـــا يـــا شـــارلمان أجـــب بـــلا اســـتحياء

تدرك ما كان بين شارلمان وخليفة المسلمين (هارون الرشيد) في بغداد مراسلات، وقد أرسل له الرشيد هدايا، منها ساعة مائية كلما مرت ساعة تخرج جنودًا بعدد الساعة المطلوبة وتدق، وقد كان لهذه الساعة وقع على الحضور من حاشية (شارلمان)، ووزرائه لدرجة أنهم هربوا واعتبروا أن ذلك من عمل الجن،

[٤٦] ديوان نزيف المشاعر، ص ٢٠.

(ISSN: 2536 - 9555)

والشاعر في الأبيات يجعل من هذا الموقف مثلًا لتقدم المسلمين وحضارتهم في تلك الأزمان.

رابعاً: **التراث الشعبي**:

التراث الشعبي ذخيرة ثرية بما يحويه من المعتقدات والعلوم والمعارف، وتوظيفه في تأسيس العمل الأدبي يمثل خلفية ثقافية للبناء الفني، وقد استرفد منه شعراء أبها كثيرًا من تجاربهم الشعرية، لكونه يعكس الذاكرة الجمعية للمجتمع، ويعبر عن أبرز خصائص تكوينه المعرفي، والثقافي، ويصورها تصويرًا صادقًا؛ وقراءة متانية في تجارب هؤلاء الشعراء تكشف عن استلهامهم وترديدهم لهذا الموروث بكل أبعاده ومضامينه الإيجابية منها والسلبية.

والشاعر الكبير علي بن محمد بن شاهر عسيري، الملقب بـ(إبر عشقة)، من الشخصيات الشعبية التي كان لها حضورها الكبير في ذاكرة أبها الشعبية حتى بعد رحيله، ولذلك نجد مريع سوادي، يضمن بعضًا من قصائده تلك الشخصية، فيقول في قصيدة بعنوان "مسارب باقية[٤٧]:

ألم تسألي وردة الصبح يوما؟ لماذا..

نؤوب إلى عتمة الليل؟..

حين نفطر أنفاسنا..

والمكان حفي..

وماء السماء..

وحناء بدر السماء..

ومنديل راعية في حقول النوى هزها..

(قال إبر عشقه) فاعتلى..

سبحها شدو ذاك الفناء

[٤٧] مريع سوادي، ديوان وشايات قروية، إصدارات نادي أبها الأدبي،١٤٢٣هـ، ص١٧.

ويذكره مرة أخرى في قصيدة أخرى بعنوان " ذكرى المغني"[٤٨]:

حين أشتاق، وأضواء لنا في الدار..

لا زلت تغني:

ينثر الحناء في لحني وغصني.

ومن المصطلحات الشعبية، التي يستخدمها شعراء أبها، "المعادل"[٤٩]، و"الخرص"[٥٠]، ولذلك نجد الشاعر أحمد التيهاني يضمن هذه المصطلحات قصيدته فيقول[٥١]:

جاء كل الناس من أجل المشورة

حول "سراق المعادل"

وضيوف من تهامة..

وقوانين القبيلة

"خرصها" والواجبات..

من هذا يتأكد عمق العلاقة بين بني الإنسان، مهما كان الاختلاف ومهما بلغ من الحضارة والتقدم، وبين ذاكرته الشعبية، التي يستقي منها الأديب ذكرياته، وتجاربه، وهذا الارتباط يظهر جليًا في استدعاء هذه الخلفية التراثية بكل طاقتها الإيحائية وسماتها الجمالية، ولقد عاش شاعر أبها، مسكونًا بتراثه الشعبي، يستمده في لحظة التأمل والألم.

ولما كان الموروث الشعبي جزءًا هامًا من الوجدان الأصيل فقد حاول شعراء أبها أن يوظفوا هذا المخزون بشكل يجعله أكثر تعبيرًا، وأكثر جاذبية، كما فعل

---

[٤٨] السابق، ص٥٢.

[٤٩] المعادل " هي ما توضع في أسقف المنازل قديما، لكن لها رقصة شعبية مرتبطة بها.

[٥٠] الخرص له مدلولان أحدهما فقهي والأخر شعبي عند أهل أبها.

[٥١] ديوان أماريق، ص٧٢.

(ISSN: 2536 - 9555)

أحمد التيهاني في ديوانه (أماريق) عندما تناول (الخرص) وهو أحد المعطيات الشعبية في المنطقة، والمقصود به في المنطقة قد يختلف عن معناه الفقهي، فهو يشير عندهم للالتزام بتنفيذ ما يطلب من الشخص في بعض المناسبات، عندما يؤول الدور إليه، في نظام متعارف تتبعه القبيلة.

وهو ما صنعه الشعراء كذلك مع الشاعر (أبر عشقه) الذي بات شعارًا شعبيًا، يجسد صوت ورقصات القبيلة العسيرية، وقد وظف الشعراء هذا الشعار بطريقة إدخال نظمه الشعبي، في قصائدهم الشعرية الفصيحة، وهذا ما يمكن أن نسميه بـ(التداخل الشعري بين الفصيح والعامي).

خامساً: التراث الأسطوري:

الأسطورة خلفية ثقافية مركزة تثري التجربة الشعرية، وتمدها بالخيال، وتبث في عروقها الحياة، وعندما ننظر إلى بدايات استخدام الأساطير وتوظيفها في العمل الشعري عند شعراء العربية نجدها بدايات مهمة لأنها فتحت أمام الشعراء مجالًا خصبًا وسبلًا واسعة للإفادة من هذه الأساطير المتعددة[٥٢]، وقد وظف الأديب المعاصر هذه الأساطير وضمنها إبداعه بعد أن تعرف عليها وفهم محتواها ومضامينها، ومن الملاحظ أن مدى تأثيرها كان قويًا في بنية الخطاب الشعري العربي المعاصر، ويكاد يكون معظم الشعراء العرب المعاصرون قد استفادوا منها، ووظفوها في أعمالهم الإبداعية، إذ قلما نجد شاعرًا عربيًا معاصرًا، وبخاصية جيل الرواد إلا وقد استفاد من الأسطورة، واستطاع أن يبني منها حالات شعرية رؤيوية وجديدة حسب درجات ثقافتهم ومواهبهم، وكيفية تعاملهم مع الموروث الأسطوري، وشعراء أبها ليسوا بدعًا من الشعراء في ذلك فقد تناولوا بعضًا من الأساطير مثل: (فينيس) وهو إله الحب عند الاغريق، فقد استدعاه

[٥٢] انظر: محمد عبد الرحمن يونس، مدخل في مكانة الأسطورة وأهميتها، مجلة العربي الحر، الشبكة العنكبوتية.

أحمد بيهان في قصيدته (عد حيث جئت) ليتحدث عن حالة الحب، ومعاناة الشاعر معها فيقول[٥٣]:

يـا مـن نسـجتك فـي خيـالي صـورة من وحـي آمـالي وفيض خواطري
فينـــــــيس مـــــــافينيس إلا ذرة ضاعت وذابت في سناك الطاهر

ومن الأساطير الشعبية التي تناولها الشعراء في أبها (السعلاة، والوعل، والهوام) فقد استعاها التيهاني في ديوانه (أماريق)، ونظمها بالعامية كما وردت على ألسنة الكبيرات من النساء، فيقول في قصيدته (فيصل والبراءة)[٥٤]:

في: (امسعالي.. واموعالي.. وامهوام)
ثار فى الصدر سؤال:
ماما. هذا من يكون؟
فتجيب الأم:
"فيصلنا" فيقنع..
ويظن الطفل أن الشيخ حكر
ليس للناس نصيب
فهو "فيصلنا" الحبيب
ذاك "فيصلنا" فيرضى

زهرة فاكهة الرمان (جلنار) لها تاريخ ثري مع الأساطير والتقاليد، ولذلك فهي تجسد القوى الأسطورية عند القدماء الفرس والمصريين واليونانين وغيرهم، إذ يعتقد الفرس بأن حواء انتزعت الرمان من شجرة صغيرة في جنة عدن وأكلته، وليس التفاح، ودفن المصريون القدماء موتاهم مع ثمار الرمان لأنهم يعتقدون أنها تقدم الحياة الأبدية لهم، واعتبرها اليونانيون شعارًا للأخبار الجيدة، ولهذا كسروه في

[٥٣] نزيف المشاعر، ص٩٠.
[٥٤] أماريق، ص٧١.

(ISSN: 2536 - 9555)

احتفالات الزفاف، وأكل الصينيون بذور الرمان لجلب الحظ، يقول عنها أحمد بيهان في قصيدة (الهوى والعفاف)[٥٥]:

جلنـــــار يســـــيل فـــــي شـــــفتي ودم الـــــورد صـــــبغة الوجنـــــات

مـــا الطـــلا تـــذهب المـــدارك لـــولا أن فيهـــا مـــن اللمـــى قطـــرات

ومـــــدام الشـــــفاه يســـــلب لبًـــــا يســـــتقيه بباهـــــت النظـــــرات

ومن الأساطير كذلك (المارد)، ومن الشعراء من أشار إليه، ومنهم بيهان حيث يورده في قصيدة (العاجزون) فيقول[٥٦]:

يهزأ المارد من أصفاده

لين القيد... ولا المارد لانا

أنا من في قلبه نور الهدى

أنا من في كفه حتف بلانا

هكذا تعامل شعراء أبها مع الأساطير، فقد أوردوها في شعرهم، محافظين على تمسكهم الديني الذي يرفض شيئًا من هذه الخرافات، فلا يتعاملون معها على أساس اعتقادي، إنما على أساس الفكرة الفنية والأسطورة الخيالية فحسب.

ويبقى الأهم في الأمر كيف وظف شعراء أبها هذا الموروث الأسطوري؟ ويمكن أن نجمل أهم صور التوظيف فيما يلي:

الصورة الأولى: التوظيف الذي يهتم بأن تشغل الأسطورة حيزًا بسيطًا في نسيج النظم أو عندما ترد لتحكي مدلولًا معينًا، كما رأينا في استخدام أحمد التيهاني لأسطورة (السعلاة، والوعل)، فيضمنها قصيدته[٥٧].

---

[٥٥] ديوان، نزيف المشاعر، ١٣٦.

[٥٦] السابق، ص٤٢.

[٥٧] ديوان أماريق، ص ٧١.

الصورة الثانية: التوظيف الذي يكشف سمات الأسطورة كما ورد عند أحمد بيهان، في توظيفه لـ(فينيس) وهو إله الحب عند الإغريق في قصيدته (عد حيث جئت)[٥٨].

الصورة الثالثة: وفى بعض الأحيان يكون الهدف من توظيف الأسطورة هو استثمار معاني وأبعاد المضمون الأسطوري الذي يكون عادة في لاوعي المتلقي، مع القيام بالتنقيب عن هذه العناصر لتكون وسيلة اتصال بين الشاعر والمتلقي، كما فعل بيهان مع العنصر الاسطوري (جلنار) التي تمثل القوى الأسطورية عند القدماء، كما في قصيدة (الهوى والعفاف)[٥٩].

سادساً: التراث المكاني:

حب الإنسان لمكان ما لا يعتبر انتماءً جغرافيًا، أو وطنيًا فحسب، بل "أضحى حالة نفسية وجدانية فليس غريبًا أن يلوذ الإنسان بشجرة أو بصخرة أو بمغارة"[٦٠]، يجد فيها ما لا يجده في ملاذ آخر، وليس من السهل تحديد دواعي جاذبية المكان للإنسان، فقد يكون الداعي ذاتيًا خالصًا لا يدركه غير صاحبه، وقد يكون الداعي كامنًا في ذات المكان يشعر به الإنسان حين يأوي إليه، ويستعين الشاعر لتحقيق هذا الهدف بالخصائص الأساسية للمكان؛ إذ ينسب لكل مكان سمته التاريخي والثقافي والسياحي، وتأمل معي أحمد التيهاني حيث يلمح إلى جبل (أبو خيال)، بكل ما يحمل من إيحاءات عند أهل أبها، حيث الشموخ، والجلال، والجمال، فيقول في قصيدة "مقعد في (أبو خيال)"[٦١]:

---

[٥٨] نزيف المشاعر، ص ٩٠.

[٥٩] ديوان، نزيف المشاعر، ١٣٦.

[٦٠] انظر: د. عمر عبد الهادي عتيق، الفضاء المكاني في ديوان عز الدين المناصرة، موقع رابطة أدباء الشام على الانترنت.

[٦١] ديوان أماريق، ص٥١.

(ISSN: 2536 - 9555)

وبقية أسرار المشهد؟

تتثائب أبها..

أو تغفو

تتدثر معطفها الأسود

كالحضن الحالي للمسهد

فغفوت

وحلمي هو أبها.

وحلمت بأني أحملها

تحملني.

أو ضاع المشهد..

لكني أبصرت آملًا

تدخلها أبها في صدري

كالنار بروحي تتوقد

فإذا آمالي.. هي أبها..!!

أما الذي أعجب أحمد بيهان في أبها، فهو ذلك الجمال الطبيعي، وتلك المناظر التي تسلب الفؤاد، وتجعله يشبهها بالجنة فيقول في قصيدة (إلى جنتين)[٦٢]:

رق النسيم وفاح من نسماته عطر.. سكرت من خطراته

وتراقصت صور الجمال كأنها حلم الشباب الغض في فلتاته

أبها ما في الكون أكثر فتنة من نشرها الزاكي ومن خطراته

[٦٢] ديوان نزيف المشاعر، ص ١٨٤.

أما الشاعر علي الثوابي فيغني أبها، ويبادلها الود والحديث، أبها المكان، الذي أخذ منه كل مأخذ فيقول في قصيدة "أبها"[٦٣]:

أغنيـك يـا أبهـا وقـد عـز جـانبي وأهـديك لحنـا مـن بـديع قصـائدي
وأسـبح فـي مغنـاك بحـدو خرائـدي وفـاء أبـي مـن طريـف وتالـد
أهـيم غرامـا فـي ربـاك مؤبـدا وعشقك في عيني سامي المقاصد
وللعشـق فـي أبهـا وشـوم شـواخص تـدوم علـى الأيـام رغـم الشـدائد

يتكئ الشاعر على أسلوب الأنسنة فتبدو أبها امرأة جميلة، فاتنة، كما نجد الشاعر يحرص على التنويع في ماهية المكان، ولعل في هذا التنويع المكاني تنويها للتفاعل الوجداني بين الشاعر وأبها المكان، وهكذا حلت أبها في ذاكرة أبنائها، فجعلوها شعارًا لمشاعرهم الجياشة، وأحاسيسهم المتوقدة وقضاياهم الشاملة.

الخاتمة

بعد هذه الجولة حول إبداع أبناء أبها عن وطنهم يمكن استخلاص النتائج الآتية:

تدرج الشاعر في أبها مع التراث من التعامل معه بطريقة جزئية، إلى البناء الكلي الذي يحتل معه وظيفة بنائية تشيع مكنوناته الدلالية في روح النص والتجربة بعامة، فحين النظر في تجربة شعراء أبها نلحظ أنهم يفدون على الصور الجزئية التي تؤلف عناصر في بناء الصورة الشعرية، مع كون وظيفة التراث عندهم تعبيرية عن حالة ذاتية مفردة، لا تجنح كثيرًا إلى الغموض والتجريد، وهي ذات طابع وجداني، وقد حاول الزمزمي– مثلًا– بناء قصائد على تصوير تراثي كلي مهيمن في القصيدة، كما فعل في قصيدته (وقفة على قبر خالد بن الوليد)

[٦٣] علي مفرح الثوابي، ديوان وميض الأفق، إصدارات نادي أبها الأدبي، ١٤٢٥هـ، ص٢.

(ISSN: 2536 - 9555)

لكن بناء تلك القصائد ليس من صميم البناء الفني للتراث، بل هو من نمط القصة التراثية، نظرًا للتركيز على الفكرة وهي واضحة لا غموض فيها ومن ثم محدودية الإيحاء الترثي في هذا البناء الشعري.

التراث من أهم التقنيات الفنية التي أخذت بها القصيدة المعاصرة، وشكلت علامة فارقة في تطور التجربة، بحيث باتت ذات رؤية شمولية تصل النمط الخاص بالإنساني العام والكوني، والحاضر بالماضي، وغدت القصيدة بنية مركبة ودرامية، عميقة الدلالة، شديدة الوحدة العضوية، حين تبني على شكل محوري يدور حوله النص، مما يؤدي إلى تحول الشكل إلى بؤرة إشعاع دلالي وإيحائي يتفاعل فيه الخاص والعام في نسيج رؤياوي شديد الفاعلية.

تتنوع مصادر التراث بين الديني، والأدبي، والسياسي، والأسطوري، والشعبي، والمكاني، ويبرز ميل شعراء أبها إلى النهل من التراث الإسلامي والعربي، كما يتضح جيدًا عند الشاعرين: أحمد بيهان وعبد الله الزمزمي، فضلا عن التصوير بالأماكن وعناصر الفلكلور الشعبي كما يظهر عند الشاعرين أحمد التيهاني ومريع سوادي، وقد أراد الشعراء بذلك تحقيق سبيل التواصل مع الماضي وبعثه في روح العصر من ناحية، وإضفاء روح المحلية على التجربة من ناحية أخرى، وقد وظف الشعراء عددًا من الصور التراثية اليونانية، والعربية القديمة، من التراث الثقافي العربي والعالمي، وفي كل ذلك ظل المخزون التراثي شديد الصلة بالتجربة الخاصة، ويخضع لمتطلباتها، أي أن الشاعر بفعل تجربته المنفتحة على العالم يستدعي صوره التراثية بوصفها ممكنات ضرورية لوصف الوضع المتوقد عنده، ولذلك جاءت التراثيات لتعكس علاقة الشاعر بالوضع الحالي وحضوره الفاعل فيه، وترتبط اختيارات الشاعر لصوره بنظرته إلى الكون والحياة، وعلى ضوء الرؤية تتحدد وظيفة الاسترفاد في القصيدة.

جاءت استخدامات التراث متطورة ومتغيرة، وفق وظيفة التجربة وتطور رؤية الشاعر إلى الكون والحياة، ويمكن النظر إلى وظيفة التراث في التجربة من هذه

الزاوية أي وظيفة التعبير عن الموقف من قضايا العصر، انطلاقًا من موقف ملتزم بقضايا الدين والوطن والإنسان.

من الملاحظ عند شعراء أبها أنهم أحدثوا تطورًا مهمًا في التجربة الواقعية فيما يخص توظيف التراث في القصيدة، وخاصة في الصور الأسطورية والتاريخية حيث بدا الخيال فيها واضحًا حين امتزجت فيها روح الماضي المجيد بالواقع المعاصر وأحداثه.

والحمد لله رب العالمين أولًا وآخرًا....

أهم المصادر والمراجع:

* **القرآن الكريم.**

١. أحمد التيهاني، الشعر في عسير ١٣٥١ – ١٤٣٠هـ، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠١٦م.

٢. أحمد عبد الله بيهان، ديوان نزيف المشاعر، نادي أبها الأدبي، ١٤٠٤هـ.

٣. أحمد عبدالله التيهاني، ديوان أماريق، إصدارات نادي أبها الأدبي، ١٤٢٠هـ.

٤. د. أسماء أبو بكر أحمد، آليات التناص النوعي في شعر الحداثة منشورات مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة ط (١) ١٤٢٦هـ– ٢٠٠٥م.

٥. إسماعيل محمد أديب، الشعر العربي وقضية الرمز، مجلة الوحدة، اللاذقية، العدد ٦٢٥١. ٧. أحمد عبدالله بيهان، ديوان نزيف المشاعر، نادي أبها الأدبي، ١٤٠٤هـ.

٦. الأعشى، ديوان الأعشى الكبير، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ٢٠٠٥م.

٧. تركي بن صالح العصيمي، ديوان قلب فى أبها، إصدارات نادي أبهى الأدبي، ١٤١٧هـ.

٨. جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار العلم للملايين – بيروت – لبنان، ط٢، ١٩٨٤.

(ISSN: 2536 - 9555)

٩. زايد محمد كناني، ديوان تقاسيم زامر الحي، إصدارات نادي أبها الأدبي ١٤٢٢هـ.
١٠. صلاح البردويل، أطروحة دكتوراة، بعنوان توظيف التراث الشعبي في الشعر الفلسطيني المعاصر.
١١. عبدالله محمد الزمزمي، ١- ديوان مواجع قلب، إصدارات نادي أبها الأدبي، ١٤١٥هـ. ٢- ديوان هذا أنا، إصدارات نادي أبها الأدبي، ١٤٢١هـ.
١٢. عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، قضايا وظواهره الفنية والمعنوية، ط٣، دار العودة ودار الثقافة، بيروت، ١٩٨١م.
١٣. علي الحداد، أثر التراث في الشعر العراقي الحديث، ط١، دار الشئون الثقافية العامة، مجلة آفاق، بغداد.
١٤. علي مفرح الثوابي، ديوان وميض الأفق، إصدارات نادي أبها الأدبي، ١٤٢٥هـ.
١٥. عمر عبد الهادي عتيق، الفضاء المكاني فى ديوان عز الدين المناصرة، موقع رابطة أدباء الشام على الإنترنت.
١٦. فاطمة القرني، ديوان عندما غنى الجنوب، إصدارات نادي أبها الأدبي، ١٤٢٩هـ.
١٧. محمد فتوح، الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، ط١، ١٩٨٤م.
١٨. محمد عبد الرحمن يونس، مدخل في مكانة الأسطورة وأهميتها، مجلة العربي الحر، الشبكة العنكبوتية.
١٩. مريع سوادي، ديوان وشايات قروية، إصدارات نادي أبها الأدبي، ١٤٢٣هـ.
٢٠. مصطفى ناصف، الصورة الأدبية، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٠١هـ- ١٩٨١م.
٢١. منصور فازع القرني، أبها في الشعر السعودي المعاصر (دراسة موضوعية فنية)، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، ١٤٢٥هـ.
٢٢. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
٢٣. هاشم النعمي، شذا العبير من تراجم علماء وأدباء ومثقفي منطقة عسير، من إصدارات نادي أبها الأدبي، ط١، ١٤١٥هـ.